June 2020
Vol 2 Issue 2

Structural parallelism within the interrogative and conditional styles in the Holy Qur'an

Dr. 'Iinsaf Alhajaya

Alhajaya @gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000-0003-4452-9929, DOI , PP 1-28.

Abstract: This research deals with the aspects of structural parallelism mixed with the morphological aspects within the interrogative and conditional styles in the Holy Qur'an. Hence, this research aimed to highlight these aspects and explain the rhythmic elements they carry, in addition to talking about the semantic aspects that are associated with these two styles in the Book of God Almighty. The research came within three elements: the first represented by talking about the concept of parallelism and syntactic parallelism, the second dealt with talking about the manifestations of this parallelism within the interrogative style in the Holy Qur'an, while the third dealt with talking about this parallelism within the subjunctive style. The research reached a set of results, the most important of which was that there is a prominent role for parallelism in shaping grammatical styles in the Book of God Almighty, and this parallelism also had an impact on meaning and connotation.

Keywords: Syntactic parallelism, interrogative questions, conditionals, the Holy Qur'an.

التوازي التركيبي ضمن أسلوبي الاستفهام والشرط في القرآن الكريم

ملخص الدراسة: يتناول هذا البحث الحديث عن مظاهر التوازي التركيبي ممزوجاً بالجوانب الصرفية ضمن أسلوبي الاستفهام والشرط في القرآن الكريم، من هنا فقد هدف هذا البحث إلى إبراز هذه المظاهر وبيان ما تحمله من عناصر إيقاعية، علاوة على الحديث عن الجوانب الدلالية التي ارتبطت بهاذين الأسلوبين في كتاب الله تعالى. ولقد جاء البحث

ضمن عناصر ثلاث: أولها تمثل بالحديث عن مفهوم التوازي والتوازي التركيبي، وثانيها تناول الحديث عن مظاهر هذا التوازي ضمن أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، في حين تناول ثالثها الحديث عن هذا التوازي ضمن أسلوب الشرط. ولقد توصل البحث لمجموعة من النتائج كان من أهمها أن هناك دوراً بارزاً للتوازي في تشكيل الأساليب النحوية في كتاب الله تعالى، كما كان لهذا التوازي أثر في المعنى والدلالة

الكلمات المفتاحية: التوازي التركيبي، الاستفهام ،الشرط، القران الكريم.

المقدمة:

تتميز اللغة العربية في مستوياتها كافة بأنها تعتمد على نصوص لغوية نُقِلت إلينا مشافهة عبر أبناء اللغة الأقحاح، الذين كانوا ينطقون لغتهم على سجيتهم وسليقتهم، دون أن تتأثر بالمؤثرات الخارجية التي تؤدي إلى اللحن في اللغة، وإن أهم هذه النصوص على الإطلاق القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي نُقل إلينا بالتواتر، مما يدفع عنه الشك والظنون التي يمكن أن تدخل إلى بعض نصوص اللغة الأخرى، فالدراسة التي ترتبط بهذا الكتاب العظيم تستمد قوتها من قوة هذا النص الكريم.

وينظر الباحثون عامة منذ القدم إلى القرآن الكريم على أنه الخطاب اللغوي الذي يمكنهم من خلاله استمداد عناصرهم البحثية، وإجراء مصنفاتهم اللغوية؛ مما جعل هذا الخطاب الإلهي أكثر النصوص اللغوية بحثاً عند العلماء والباحثين.

وهذه الدراسة تسعى إلى إبراز التوازي التركيبي ضمن أسلوبي الاستفهام والشرط القائم على أساس توالي المتسلسلات الكلامية ضمن عناصر هذا الخطاب، وبيان علاقة هذا التوازي بجانب المعنى والدلالة.

وبناء على ما سبق فإن هذه الدراسة تسعى إلى بحث عناصر التوازي التركيبي الصرفي ضمن الاستفهام والشرط في القرآن الكريم، وبيان أثر هذا التوازي في جانب المعنى والدلالة، علاوة على ربط تلك العناصر التركيبية بالجوانب النحوية من جهة، والجوانب الصرفية من جهة أخرى.

لا تقتصر أهمية هذه الدراسة في أنها ترتبط بنص قرآني مقدس لا يصل إليه الشك أو الظن فحسب، بل تزداد أهمية هذه الدراسة حينما ترتبط بنص لغوي سليم بعيد عن كافة أشكال التحريف أو التصحيف، أو الخلل واللحن، مما يكسب الدراسة مزيداً من القوة والمتانة.

كما تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول واحداً من الموضوعات الحديثة في الدرس اللساني، ألا وهو موضوع التوازي، وتحاول ربط هذا التوازي التركيبي بعناصر البنى الكلامية من جهة، وعناصر المعنى والدلالة من جهة أخرى.

وقد جاءت هذه الدراسة لتجيب على الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم التوازي التركيبي الصرفي؟
- ما العلاقة بين التوازي والمعنى؟
- كيف يمكننا توجيه نماذج التوازي التركيبي بما يخدم الدلالة؟
- ما مظاهر التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوبي الشرط والاستفهام في القرآن الكريم؟

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح مفهوم التوازي التركيبي الصرفي، وبيان العلاقة الوثيقة بين هذا التوازي بكافة أشكاله وعناصر المعنى والدلالة، كما تهدف هذه الدراسة إلى ربط عناصر التوازي بعناصر التركيب والبنية من جهة، وعناصر الدلالة من جهة أخرى.

وتسعى هذه الدراسة أيضاً إلى إظهار العلاقات الوثيقة بين عناصر المعنى والدلالة ضمن تراكيب الأساليب النحوية في اللغة عموماً، والقرآن الكريم خاصة، وبيان دور هذا التوازي في التأثير المعنوي على المتلقي.

تقتفي هذه الدراسة أسس المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد الظاهرة اللغوية، واستقراء عناصرها ضمن الخطاب اللغوي، ومن ثم محاولة تحليل تلك العناصر اللغوية، والتعمق في النظرة إليها، للوصول في نهاية الأمر إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

ولا بد للباحثة من إيراد بعض النماذج السابقة من الدراسات التي تناولت الحديث عن التوازي من قريب أو بعيد، ومن بينها:

أولاً: دراسة عبد الله خليف بعنوان: التوازي التركيبي في القرآن الكريم، وهي رسالة ماجستير في جامعة الموصل، تناولت الحديث عن التوازي التركيبي في القرآن الكريم عموماً، وبيّنت بعض ملامحه.

ثانياً: دراسة للدكتور: موسى ربابعة، بعنوان: ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء، وهو بحث منشور في مجلة دراسات، لعام: ١٩٩٥م.

ثالثاً: دراسة للدكتور: سامح الرواشدة، بعنوان: التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، وهو بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك، لعام: ١٩٩٨م.

رابعاً: دراسة: محمد كنوني، بعنواك: التوازي ولغة الشعر، وهو بحث منشور في مجلة فكر ونقد، للعام: ١٩٩٩م.

ومن هنا فقد قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى الأقسام الآتية:

أولاً: التوازي والتوازي التركيبي، يتناول مفهوم التوازي بصفة عامة، ومفهوم التوازي التركيبي بصفة خاصة.

ثانياً: مظاهر التوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم ضمن أسلوب الاستفهام.

ثالثاً: مظاهر التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط في القرآن الكريم.

أولاً: التوازي والتوازي التركيبي:

يشير مصطلح التوازي إلى المصدر الصريح من الفعل "توازى"، إذ هو "توازٍ، وهو مأخوذ في اللغة من الجذر: "وزي"، وهو جذر لغوي يدل على تجمع في شيء واكتناز .[١]

ويدل لفظ التوازي في اللغة على معنى المحاذاة والاجتماع والانقباض[٢]، وهو ما عبر عنه الدكتور أحمد مختار عمر بالتشابه أو التشاكل أو حتى التماثل، فيقال: هناك توازٍ كبير بين فكره وفكر أبيه .[٣]

هذا يعني أن التوازي في معناه اللغوي يشير إلى مجموعة من الأمور، من بينها: التجمع، والمحاذاة، والانقباض، والتماثل، والتشاكل، وغيرها من الجوانب اللغوية التي تدل على هذه المعاني المتقاربة.

في حين أن المعنى الاصطلاحي يشير إلى ذلك التماثل القائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وهذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما البنية نفسها، حيث تقع بين هذين الطرفين علاقة متينة تقوم على أساس المشابهة، أو على أساس من التضاد .[٤]

هذا يعني أن التوازي يقوم بين تركيبين اثنين من تراكيب اللغة، يقومان على أساس من التماثل والتجانس النحوي الصرفي، مع الإشارة إلى احتمالية التكرار في عناصر المتعقبتين

---

[١][١]ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ٦، ص: ١٠٧.

[٢][٢]ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (١٤١٤هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ج: ١٥، ص: ٣٩١.

[٣][٣]عمر، أحمد مختار عبد الحميد (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ٣، ص: ٢٤٣٥.

[٤][٤]انظر: كنوني، محمد (١٩٩٩م). التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد: ١٨، ص: ٧٩.

اللغويتين، أو ربما وقع بعض التحول في الجانب الشكلي للوحدة الكلامية، مع المحافظة على النسق التركيبي العام، دون اشتراط التماثل الصوتي بين المتعقبتين .[٥]

وهناك وجهة نظر أخرى تتناول تعريف آخر للتوازي يتمثل بتشابه البنيات واختلاف المعاني[٦]، كما عُرف بأنه توازن المنطلقات على مستوى التطابق أو التعارض .[٧]

هذا يعني أن المفهوم العام للتوازي ينطلق من فكرة البرهنة على تطابق نصين أو سردين أو اختلافهما من خلال العلاقات التسلسلية بين وحدات هذين السردين، وتشابه النهايات الصوتية، فإن هذا التشابه أو التقارب بين السردين أو النصين يؤدي إلى البرهنة على توازيهما .[٨]

ومن هنا فإن التوازي يقصد إلى تنمية نواة معنوية سلبياً أو إيجابياً بركام قسري أو اختياري، وذلك ضماناً لانسجام الرسالة.[٩]

ويمكن للباحثة أن تلحظ من خلال مفهوم التوازي السابق أنه يقوم على مجموعة من الأركان وهي: أولاً: السلسلة الكلامية، وهي عبارة عن توالي مجموعة من العبارات النصية، ضمن سياق واحد، أطراف هذه السلسلة: وتمثل تلك العبارات التي تتضام إلى بعضها بعض لتشكل تلك السلسلة، التماثل أو التشاكل: وهي علاقات داخلية بين عناصر كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية، مقروناً بما يقابله من الوحدات الكلامية ضمن الطرف الآخر من السلسلة ذاتها، وصولاً إلى شيء من التناغم والتجانس بين هذه الوحدات الكلامية ضمن السلسلة ذاتها.

وانطلاقاً مما سبق فإن للتوازي معنيين اثنين: الأول: المعنى اللغوي: ويقصد به المحاذاة أو المجاورة، الثاني: وهو المعنى الأدبي، ويشير إلى عنصر بنائي في الشعر يقوم على تكرار أجزاء متساوية .[١٠]

---

[٥]. المرجع السابق، ص: ٨٠.

[٦][٥]مفتاح، محمد (١٩٩٧م). مدخل إلى قراءة النص الشعري، مجلة فصول، المجلد: ١٦، العدد: ١، ص: ٢٥٩.

[٧][٦]الحياني، عبد الله خليف }٢٠٠٤م{ التوازي التركيبي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: هاني صبري علي آل يونس، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، الموصل – العراق، ص: ٧.

[٨][٧] انظر: الخطيب، إبراهيم }١٩٨٢م{. نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ٢٢٩.

[٩][]. مفتاح، محمد} ١٩٨٥م.{ تحليل الخطاب الشعري }استراتيجية التناص،{ دار التنوير، بيروت . لبنان، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، الطبعة الأولى، ص: ٢٥.

[١٠][]. - ربابعة، موسى }١٩٩٥م{ ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية، المجلد: ٢٢، العدد: ٥، ص: ٢٣٠.

ونشير هاهنا إلى أن هذا التكرار ليس تكراراً محضاً مباشراً، وإنما هو تكرار خاضع لعناصر البنية التركيبية أو البنية الشكلية لوحدات الكلام المتعاقبة، وليس الأمر مجرد تكرار نصي مباشر كما هو معروف في مصطلح التكرار.

وجدير بهذه الدراسة أن تحاول الربط بين هذا المفهوم المعاصر في الخطاب الشعري، ومنجزات تراثنا الأدبي العربي القديم، إذ ثمة ملحوظات تقودنا إلى شيء من مفهوم هذا التوازي، ومن بينها مصطلح الموازنة، إذ يشير مصطلح الموازنة إلى أن تتساوى الفاصلتان في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: "وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ"[١١]، فإن المصفوفة والمبثوثة متساويان في الوزن دون التقفية .[١٢]

ويقول الكجراتي مبيّناً أن الموازنة لا بد لها أن تكون في أشياء متقاربة، وأنه لو تباعدت الأشياء عن بعضها بعضاً لم يعد هناك معنى لهذه الموازنة، وذلك في قوله: " المراد من الوزن موازنته إياهم، وإنما يراعي الموازنة في أشياء متقاربة فإذا تباعدت لم يوجد للموازنة معنى" .[١٣]

ومن خلال هذا المعنى المخصص لمصطلح الموازنة عند القدماء نجد أنه لا يختلف كثيراً عما نجده في مصطلح التوازي عند المحدثين، إذ إن الطرفين يشيران إلى وجود تماثل وتشاكل وتساوي بين وحدات الكلام المتوالية، وهذا التشاكل من شأنه أن يمنح الكلام مزيداً من الرونق والجمال.

ولم يكن الأمر حصراً على الأدباء والمشتغلين بالأدب، فقد كان لعلماء اللغة دور في الحديث عن مفهوم التوازي بفكرته القديمة، فقد أوضح ابن مالك في شرح التسهيل أن التوازن بين "يضرب" و"ضارب" واضح[١٤]، وهو في هذه الإشارة اللغوية يتحدث عن ذلك التشاكل والتشابه بين هاتين الكلمتين في تركيبهما الصوتي، وما هذه إلا إشارة لبعض ملامح التوازي بمفهومه الحديث.

---

[١١] []. سورة الغاشية، آية: ١٥ – ١٦.

[١٢] []. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف }١٩٨٣{م كتاب التعريفات، حققه وضبطه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ٢٣٧.

[١٣] []. الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي صديقي} ١٩٦٧م{ مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ج: ٣، ص: ١٣٨.

[١٤] []. ابن مالك، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله} ١٩٩٠م {شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٣٦.

غير أن النحاة القدماء لم يحددوا هذا المصطلح بمفهوم التوازي الذي نعرفه الآن، وإنما علّقوا على بعض ملامح التشابه والتشاكل بين وحدات الكلام المختلفة بأنها من قبيل التوازن أو الموزنة .[١٥]

غير أنه من المفيد هاهنا أن نقول إن مفهوم التوازي عند المحدثين أعم وأشمل من مفهوم الموزنة عند القدماء، إذ بيّنا أن مفهوم الموازنة يشير إلى تساوي بعض وحدات الكلام في صيغتها، في حين أن التوازي يصل إلى أبعد من ذلك، ليشمل جوانب التركيب، وجوانب البنى، وجوانب الأصوات، علاوة على جانب المعنى، خاصة أن التوازي ربما يعتمد على التضاد، كما أن التوازي يخضع لعلاقات تلك الوحدات الكلامية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، في حين أن الموازنة لا تشمل العلاقات القائمة بين هذه الوحدات الكلامية ضمن السلسلة بأطرافها جميعاً.

مفهوم التوازي التركيبي:

لا يمكن النظر لأي وحدة كلامية بمعزل عن مجاوراتها من الوحدات الكلامية الأخرى، بمعنى آخر فإن أي وحدة كلامية لا تمنحنا أي معنى مخصص إلا بوجودها ضمن سياقها الذي يتحكم بمعناها من جهة، وبمعنى سائر الوحدات الكلامية المجاورة لها من جهة أخرى، فإن اللغة مكونة من وحدات كلامية متعددة ومتشابكة، تحكمها مجموعة من العلاقات التجاورية والسياقية التي من شأنها أن تحدد طبيعة الدلالة التي تتحكم بكل وحدة كلامية من هذه الوحدات .[١٦]

فالكلمة تكون محققة لذاتها في فعاليتها في السياق، فمعنى الجملة ليس إلا مجموع السياقات التي تشكل الكلمة جزءاً منها، وليست دلالاتها إلا مجموع التأليفات المتحققة لكلمة ما، وإن البنية المتشكلة في النمط التركيبي المناسب تتوزع فيه الأدوار الوظيفية للكلمات بمقتضى دلالتها، إذ يتأثر المعنى الدلالي بنوع البنية الشكلية ويرتبط بها، وموقع الكلمة في الجملة يكشف عن حقيقة المعنى؛ لأن المعنى اللغوي يختلف نتيجة لنوع الوحدات الداخلة في التركيب ولموقعها، فاختلاف البنيات التشكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلالي وفقاً لحالات الاستعمال .[١٧]

---

[١٥] []. انظر مثلاً: الحلبي، محمد بن يوسف بن أحمد }١٤٢٨هـ{. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٢٣٣.

[١٦] []. انظر: لاينز، جون }١٩٨٧م{ اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، الطبعة الأولى، ص: ٨٣.

[١٧] []. الحياني. التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: ١٥ – ١٦.

يعني ذلك أن العلاقة الناظمة بين وحدات الكلام المختلفة لا تحمل أي معنى إلا من خلال علاقاتها مع بعضها بعضاً، ومن خلال النظم القائم بينها، فمعاني النحو لا تقوم على أساس من المعاني المفردة للكلمات أو الوحدات الكلامية، بل تقوم على أساس من التمازج بين معاني الوحدات الكلامية المكونة للجملة بأكملها .[١٨]

تمثل الجملة الوحدة الأصغر في تكوين النص، فالنص وحدة تواصلية كبرى، يليها في الصغر الجملة، والجملة مكونة من مجموعة من الوحدات الكلامية والكلمات، هذه الوحدات الكلامية تحمل معنى خاصاً بها، ومجموع هذه المعاني المتضامة إلى بعضها بعضاً تشكل معنى تلك الجملة، ومجموعة المعاني المرتبطة بالجملة ذاتها تشكل معنى واسعاً يحمل الطابع العام للنص بأكمله، فلا يمكن الحكم على معنى الكلمة الصغرى إلا بالنظر إلى سلسلة العلاقات الناظمة بينها وبين سائر الوحدات الكلامية في الجملة ذاتها، وبالنظر إلى مجموعة تلك الجمل المكونة للنص بأكمله، فإن المعنى رهين هذه العناصر كلها .[١٩]

وهناك تبادل في العلاقات بين العناصر التركيبية النحوية، والعناصر الدلالية في الجملة بدءاً، والنص كذلك، فإن علاقة الوحدات الكلامية في الجملة الواحدة قائمة على أساس من التكامل التركيبي، فإن المعاني تنطلق من التركيب، إذ لا بد من استمداد تلك المعاني من خلال العلاقات التركيبية النحوية الناظمة للجملة، وهذا كله يشير إلى ذلك التوازي الأفقي بين تلك الوحدات الكلامية، والتوازي الأفقي لا يأتي إلا من خلال العلاقات التركيبية النحوية بين العناصر الجملية المختلفة .[٢٠]

فمفهوم التوازي التركيبي الصرفي يتعلق بسلسلتين متواليتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو اختلافات إيقاعية، وصوتية، ومعجمية دلالياً، وبذلك يكون التوازي التركيبي: تأليفاً لمجموعة من الثوابت والمتغيرات، فالثوابت عبارة عن تكرارات خالصة، في مقابل المتغيرات التي هي بمثابة اختلافات خالصة، فالموازاة

[١٨] []. - انظر: لوش، نور الهدى }١٩٩٥م{ علم الدلالة دراسة وتطبيق، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي – ليبيا، الطبعة الأولى، ص: ٤٥.

[١٩] []. انظر: خطابي، محمد }١٩٨٨م{ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ص: ١٣، وحميدة، مصطفى }١٩٩٧م{ نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، دار نوبار للطباعة، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ص: ١٣٠.

[٢٠] []. انظر: عبد اللطيف، محمد حماسة }١٩٨٣م{ النحو والدلالة مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ص: ١١٣.

تأليف ثنائي، والموازاة تعادل – تماثل، وليست تطابقاً، إلا أن مفهوم التماثل فضلاً عن ذلك يمحو بطريقة ما عدم التساوي بين الطرفين .[٢١]

ونجد أن هذا المصطلح يرتكز على ركيزتين هما: التوازي، وقد بيّنا مفهومها، والتركيبي، وهو مصطلح كبير يشير إلى مجموعة من العلاقات الناظمة لوحدات الكلام، وهذه العلاقات يمكن لنا أن ننظر إليها من جهة علم اللغة الوصفي، والحديث عنها ضمن مجموعة التراكيب التي تظهر في مكنونات اللغة .[٢٢]

ويشير مستوى التركيب في اللغة إلى مجموعة من العناصر التي يمكن لنا أن ننظر إليها من خلال علاقات الوحدات الكلامية المتجاورة ببعضها، أو ما يمكن لنا أن نطلق عليه مفهوم الإسناد كما هو معروف عند القدماء، إلا أن مصطلح التركيب يتسع ليشمل مجموعة من العناصر الأخرى التي من شأنها أن ترفد المعنى مع عُمَد الكلام، وهذه العناصر يُطلق عليها مصطلح مكملات الإسناد، فالمستوى التركيبي هو ذلك المستوى الذي يمكن لنا فيه أن نحلل عناصر اللغة إلى مسند ومسند إليه ومكملات .[٢٣]

هذا يعني أن علاقة التضايف بين لفظ "التوازي" ولفظ "التركيبي" يشير إلى ملامح التماثل والتشاكل والتساوي بين وحدات الكلام المختلفة ضمن إطار التركيب، وليس الأمر عاماً هكذا، بل لا بد من الإشارة إلى أن عنصر التركيب هو العنصر الأساسي في تحديد ملامح هذا التوازي ضمن السلسلة الكلامية.

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نعي تماماً مفهوم التوازي التركيبي من جهة، والتوازي الصرفي من جهة ثانية، ومن ثم يمكننا المزج بينهما وفقاً لما تقتضيه عناصر المدلولات الكلامية، فالتوازي التركيبي قائم على أساس تشاكل البنيات التركيبية، وذلك ضمن عناصر الإسناد وما يتبعها في الجملة العربية، وهذا التشاكل التركيبي يقوم على أساس التناسق بين عناصر المتسلسلة الكلامية الأولى، وعناصر المتسلسلة الكلامية الأخرى، كأن يُبنى التركيب الاسمي على نسق: اسم معرفة علم + خبر جملة فعلية فعلها مضارع.

---

[٢١] []. انظر: ياكبسون، رومان }١٩٨٨م{. قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي، ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى، ص: ١١٣، وكنوني، محمد }١٩٩٧م{ اللغة الشعرية: دراسة في شعر حميد سعيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، الطبعة الأولى، ص: ١١٧، والحياني. التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: ٢٤.

[٢٢] []. عمر، أحمد مختار عبد الحميد }١٩٩٨م{ أسس علم اللغة، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة الثامنة، ص: ٣٦.

[٢٣] []. عبد التواب، رمضان }١٩٩٧م{. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، ص: ١٩٥.

ويكون هذا النسق الكلامي ضمن المتواليتين الكلاميتين، مثال: زيد يرمي الكرةَ، محمدٌ يلتقطها، فهذا التناسب التشاكلي بين الجملتين يقود إلى التوازي بينهما، وهو توازٍ أفقي كما نرى.

أما التوازي الصرفي فيقوم على أساس من تشاكل البنيات الشكلية للوحدات الكلامية، أي أن هذه الوحدات الكلامية تأتي ضمن إطار صرفي موحّد، كأن يأتي الكلام على اسم الفاعل، أو على اسم المفعول، وهكذا، مثل قوله سبحانه وتعالى: "عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا" .[٢٤]

فإن الوحدات الكلامية: مسلمات مؤمنات، من الشكل الصرفي الدال على اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي، في حين إن الوحدات الكلامية: قانتات، عابدات، سائحات، من الشكل الصرفي الدال على اسم الفاعل من الفعل الثلاثي، إلا أن بينهما توازياً قائماً على أساس من التشاكل الصرفي المبني على صيغة اسم الفاعل.

وبناء على ما سبق كله يمكن للباحثة أن تبين مفهوم التوازي التركيبي الصرفي على أنه تشاكل في البنيات التركيبية مضافاً إليها تشاكل في البنيات الشكلية للوحدات الكلامية، مما يقود إلى اشتمال المتوالية الكلامية على نموذجين متمازجين من التوازي، أولهما تركيبي، وثانيهما صرفي.

ومن هنا يمكننا القول بأن مفهوم التوازي الصرفي قائم على أساس من التشاكل الصرفي بين الوحدات الصرفية المكونة للمتوالية الكلامية، الأمر الذي يمنحها شيئاً من التجانس والانسجام، ينضاف إليه بعض ملامح التناسق الصوتي في تشكيل عناصر هذا التوازي .[٢٥]

وكما كان التوازي التركيبي النحوي قائماً على أساس البنى التركيبية المعتمدة على التراكيب والعلاقات الإسنادية بين عناصر المتوالية الكلامية، فإن التوازي الصرفي يعتمد على التشاكل والتجانس بين عناصر المتوالية الكلامية من ناحية البنية الشكلية، فإن هذه العناصر الشكلية تؤثر تأثيراً مباشراً في العلاقات الدلالية للمتوالية الكلامية، وبعد فإنها تؤثر في العلاقات الدلالية في الخطاب الأدبي أو الشعري بأكمله.[٢٦]

---

[٢٤] [].. سورة التحريم، آية: ٥.

[٢٥] [].. انظر: كنوني. التوازي ولغة الشعر، ص: ٨٠.

[٢٦] []. الحياني. التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: ١٥ – ١٦.

أولاً: الاستفهام:

يشير مفهوم الاستفهام في معناه الأساسي إلى معنى الاستعلام، أي إن المتكلم يستعلم عما في ضمير المخاطب، هذا ما أوحاه لنا الجرجاني في حديثه عن مفهوم الاستفهام، وذلك إذ يقول: "استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور" .[٢٧]

وهذا التعريف الذي قال به الجرجاني هو نفسه الذي قال به المناوي[٢٨]، في حين بيّن الكفوي أن كل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهام؛ لأن الاستفهام يعني طلب الفهم، في حين أن الاستخبار طلب الخبر، وليس شرطاً أن يكون القصد من هذا الخبر الفهم، لذا فكل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهام .[٢٩]

ويتميز أسلوب الاستفهام في اللغة العربية بأنه اسلوب جُمَلي، أي إنه يعتمد على تركيب جملة بأكملها، تسمى جملة الاستفهام، وهذه الجملة تبدأ بعنصر الاستفهام، وهو إما أن يكون حرفاً، أو اسماً، ومن ثم يأتي المستفهم عنه، فيقال: من الذي أتى؟ وهكذا من الجمل الاستفهامية القائمة على أساس هذا الأسلوب النحوي المباشر .[٣٠]

ويمثل اسم الاستفهام الركن الأساسي الدال على معنى الاستفهام والجملة الاستفهامية بحد ذاتها، إذ لو أن هذا الركن ليس موجوداً في الجملة لما أمكن وصف هذه الجملة بأنها جملة استفهامية إلا على سبيل السياق والمعنى، وبناء على التقدير، في حين أن أكثر الأحوال يكون فيها اسم الاستفهام مذكوراً في الجملة، وله الصدارة، حتى لو كان ما بعده عاملاً فيه، فإنه يتقدم على عامله؛ لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة في الجملة .[٣١]

وتنقسم أدوات الاستفهام إلى ثلاثة أقسام هي: أسماء، وظروف، وحروف، أما الأسماء فأربعة: ما، ومن، وأي وكم، فأما ما يستفهم بها عن ما لا يعقل كثيراً، وعما يعقل قليلاً، وأما من فيستفهم بها عما يعقل كثيراً، وعما لا يعقل قليلاً، وأي: يُستفهم بها عن بعض

---

[٢٧][]. الجرجاني. التعريفات، ص: ١٨.

[٢٨][].. المناوي، عبد الرءوف بن تاج العارفين }١٩٩٠م{ التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، ص: ٤٩.

[٢٩][]. انظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى }د.ت{. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، ص: ٨٣.

[٣٠][]. انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف }١٩٩٨م{ ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ٣، ص: ١٠٥٣.

[٣١][].. انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد }د.ت{. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت . لبنان، ج: ٣، ص: ٧.

من كل، وكم: يستفهم بها عن العدد، أما الظروف فهي: فمتى: سؤال عن الزمان، وأين: سؤال عن المكان، وكيف سؤال عن الحال، وأي حين: سؤال عن الزمان، وكذلك أيان، وأنّى، أما الحروف فالهمزة و"هل" .[٣٢]

ومن خلال هذا الحديث المقتضب عن مفهوم الاستفهام، وطريقته التركيبية التي يأتي عليها في العربية، يمكننا أن نلحظ أنه أسلوب تركيبي نحوي متميز بطريقته التركيبية المتوافقة في أكثر الأحيان، إذ لا بد من المكونات الآتية فيه:

عنصر الاستفهام + ما يُستفهم عنه.

هذا بناء على صدارة أسماء الاستفهام، وانطلاقاً من هذه الفكرة وجدت الباحثة أنه ثمة كثير من ملامح التوازي التي ترتبط بمكونات الجملة الاستفهامية ضمن القرآن الكريم، وفيما يلي ستورد أهم تلك المواضع التي وصلت إليها، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى" .[٣٣]

يتبين لنا من خلال الآيات الكريمة السابقة أنها اشتملت على جملتي استفهام ابتدأت كل منهما بهمزة الاستفهام، وهمزة الاستفهام هي أصل الاستفهام، ولها من الخصوصية ما ليس لغيرها من أدوات الاستفهام الأخرى، فمن ذلك أنها قد تحذف شيئاً من الجملة، فلو قال قائل: مررت بزيد وعمرو، وأردت أن تستفهم لقلت: أبزيد مررت؟ فحُذف بعض الجملة، ومن ذلك أيضاً أنها تدخل على حروف العطف، فيقال: أفرأيت[٣٤]، على ما كان في الآية الكريمة.

وهناك تناسب في طبيعة إيراد الألفاظ ضمن هذه الآية الكريمة، إذ ما مناسبة اللات والعزى ومناة، وهي آلهة أهل الشرك في ربطها بالذكر والأنثى، وهو ما بيّنه ابن قتيبة حين ذكر أن المشركين كانوا يرون أن هذه الآلهة بنات الله، في حين أنهم لهم الذكور من الأولاد، فعقّبت الآية الكريمة على ذلك بأن هذه القسمة قسمة باطلة جائرة .[٣٥]

---

[٣٢][]. ابن جني، أبو الفتح عثمان }د.ت{اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ص: ٢٢٧ – ٢٢٨.

[٣٣][].. سورة النجم، آية: ٢٠ – ٢٢.

[٣٤][].. انظر: ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي }٢٠٠١م{. شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: ٥، ص: ١٠١.

[٣٥][]. انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري }١٩٧٨م{ غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ٤٢٨.

وهذه الآلهة التي كان يعبدها المشركون من دون الله تعالى ما هي إلا إناث، فهي اللات، والعزى، ومناة، وهذه كلها من الإناث؛ لذا جاءت الآية ببيان أن هذه القسمة جائرة، إذ كيف يجعلون لله الإناث، ولهم الذكور .[٣٦]

وحين ننظر في الآيات القرآنية الكريمة السابقة نجد أنها تشتمل على عناصر التوازي التركيبي من جهة، وبعض ملامح التوازي الصرفي من جهة ثانية، إذ يتمثل هذا التوازي ضمن سلسلتين كلاميتين، هما كما يلي:

السلسلة الأولى:

همزة الاستفهام	فرأيتم	اللات	والعزى
...	ومناةَ	الثالثة	الأخرى

ويظهر لنا من هذه السلسلة الكلامية أن همزة الاستفهام قد دخلت على طرفي هذه السلسلة، وذلك أن التقدير: أفرأيتم اللات والعزى، وأفرأيتم مناة الثالثة الأخرى، فعنصر الاستفهام مع الفعل الذي يليه ضمن هذه السلسلة الكلامية مقدر في طرفها الثاني.

هذا التوازي ضمن أسلوب الاستفهام يشي بشيء من التوازن بين طرفي هذه السلسلة الكلامية، وبعض التوافق التركيبي بينهما، هذا التوافق ناشئ من معنى الاستفهام الداخل على هذه السلسلة الكلامية.

ومن جانب الصرف، فثمة توافق صرفي أيضاً بين عناصر هذه السلسلة الكلامية، فكلمة "اللات" يقابلها "مناةَ"، ففي حال وصل الكلام تلفظ التاء المربوطة تاءً، وهو ما يتوافق مع لفظ "اللات" بالتاء المبسوطة، وكذلك الأمر فثمة توافق بين "العزى" و"الأخرى"، فكلا اللفظين على زنة "فُعْلى"، وهو ما يشير إلى نمطية التوازي بين هذه العناصر الصرفية في تشكيل بنية هذا الاستفهام الصرفية.

السلسلة الثانية:

همزة الاستفهام	لكم	الذكر
...	له	الأنثى

[٣٦][].. انظر: السجستاني، أبو بكر محمد بن عزير }١٩٩٥م{ نزهة القلوب، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، ص: ٨١.

يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن همزة الاستفهام هي العنصر الواصل بين طرفي السلسلة الكلامية المعتمدة على الاستفهام كأسلوب نحوي في الوصول إلى عناصر التوازي.

وحين ننظر في النموذج السابق نجد أن كل طرف من طرفي السلسلة الكلامية مكون من: همزة الاستفهام + شبه جملة من الجار والمجرور + اسم مرفوع في موضع المبتدأ.

وهذا التوافق التركيبي الذي يلي عنصر الاستفهام ضمن طرفي السلسلة الكلامية يقدم لنا هذا التوازي التركيبي بينهما، كما يشير إلى بعض التوافق الصرفي.

فمن ملامح التوازي الصرفي في هذه السلسلة الكلامية ما يشير إلى عناصر الضدية ضمن هذه المكونات الصرفية، وذلك أن معنى هذه السلسلة الكلامية قائم على أساس من البنى المتخالفة، فالذكر يقابل الأنثى، وكل منهما ضد الآخر، كما أن الخطاب في "لكم" يقابل الغائب في "له"، وهذا فيه شيء من الضدية كذلك، هذا يعني أنه ثمة بعض ملامح التوازي القائم على البنى المتخالفة ضمن التركيب الصرفي لهذه السلسلة الكلامية.

ولو نظرنا عموماً إلى السلسلة الكلامية بمجموعها، نجد أنها مشتملة على توازٍ صرفي يتمثل في توافق الأوزان ضمن "العزى، الأخرى، الأنثى، ضيزى" فهذه كلها على زنة "فُعلى"، إلا أن "ضِيزى" قُلبت فيها الضمة كسرة لمناسبة الياء بعدها، إذ لا يصح أن يأتي في الصفات "فِعلى"، وهذا ما يدل على أنها "فُعلى"[٣٧]، وهو توافق صرفي ضمن هذه البنى، مما يشير إلى توازيها مع بعضها بعضاً.

وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى: " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى " .[٣٨]

تتحدث هذه الآية الكريمة عن امتنان الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم بالنعم التي أنعمها سبحانه وتعالى عليه، فإنه صلوات الله وسلامه عليه كان يتيماً، فآواه الله سبحانه، وكان عائلاً مفتقراً، فأغناه الله سبحانه وتعالى، وكان ضالاً عن الحق، فساقه سبحانه وتعالى إلى طريق الهداية والنور، فعرف الحق، وابتعد عن الباطل والضلال .[٣٩]

---

[٣٧]. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر }١٩٨٨م{ الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، ج: ٤، ص: ٣٦٤.

[٣٨]. سورة الضحى، آية: ٦ – ٨.

[٣٩]. انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي }١٤٢٢هـ{ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ج: ٥، ص: ٤٩٤.

وقد ابتدأت هذه الآيات الكريمة بقوله سبحانه "ألم" وهو استفهام بهمزة الاستفهام، وهي حرف الاستفهام الأول كما أشرنا من قبل، وفيها من المعاني ما فيها، إذ هي لا تختص بمعنى الاستعلام والاستخبار، بل تخرج إلى معاني أخرى مختلفة .[٤٠]

والمعنى من هذا الاستفهام ينقسم إلى قسمين: الأول: التقرير، وهو تقرير الله سبحانه وتعالى هذه النعم على نبيه الكريم – صلى الله عليه وسلم – وهي الإيواء والهداية والإغناء، والثاني: التذكير، أي أن هذا الاستفهام جاء ليذكر النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – بهذه النعم الجزيلة، والمنن العظيمة التي أنعمها الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم .[٤١]

أما الأفعال "فآوى، فهدى، فأغنى" فهي على تقدير محذوف، وهو ضمير المخاطب "الكاف" إذ إن التقدير فيها: فأواك، ففهداك، فأغناك، غير أن هذه الكاف تحذفها العرب لدلالة السياق عليها .[٤٢]

وحين ندقق النظر في الآيات الكريمة السابقة نجد أنها مشتملة على توازٍ تركيبي صرفي، هذا التوازي مرتبط ببنية أسلوب الاستفهام الماثل لنا في هذه الآيات القرآنية الكريمة، إذ إن أداة الاستفهام ""ألم" التي بدأت بها الآية الأولى، بقي تأثيرها بوجود العطف إلى الآيات التي تليها، فكان ذلك سبيلاً للوصول إلى ترابط المعنى بين هذه الآيات.

ويمكننا تمثيل السلسلة الكلامية في الآيات السابقة بما يلي:

ألم	يجدك	يتيماً	فآوى
..	ووجدك	ضالاً	فهدى
...	ووجدك	عائلاً	فأغنى

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق ماهية هذا التوافق المتوازي بين عناصر الجملة الاستفهامية ضمن السلسلة الكلامية، فإن أطراف هذه السلسلة تتكون من عنصر الاستفهام، ينضاف إليه عنصر الفعل المشتمل على الخطاب للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – يلي ذلك صفة اتصف بها النبي الكريم، ثم فاء الجواب، يليها فعل يدل على ما أنعمه الله سبحانه وتعالى على عبده الكريم فأماط عنه تلك الصفة.

[٤٠][]. انظر: المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم }١٩٩٣م{. الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ص: ٣٢.

[٤١][]. أبو حيان. ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج: ٤، ص: ١٨٦١.

[٤٢][]. انظر: العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم }١٩٩٩م{. الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة، وصلاح جرار، ومحمد حسن عواد، ونصرة عبد الرحمن، وجاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط – عمان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ١٥١.

ومن ناحية ثانية فثمة توافق صرفي يدل على عناصر هذا التوازي ضمن السلسلة الكلامية، هذا التوافق الصرفي يتمثل بما يلي:

يتيماً .... ضالاً .... عائلاً

إن هذه الوحدات الكلامية الثلاثة تمثل صفات مشتقة يتصف بها الإنسان، اليتم، والضلال، والعولة، وهي صفات ثلاث تقابل بعضها بعضاً ضمن السلسلة الكلامية السابقة، وهو توازٍ صرفي ضمن البنى المتوافقة.

ويمكننا أن نلحظ أيضاً:

فآوى ... فهدى ... فأغنى

هذه الأفعال الثلاثة كلها أفعال ماضية، وكلها مسندة إلى ضمير الغائب "هو"، وكلها تبدأ بفاء الجزاء، وعلاوة على هذا كله فكلها تنتهي بصوت الألف، وما ذاك إلا توافق صرفي بين هذه الأفعال المتقابلة ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، وهو ما دلت عليه الآيات الكريمة، وأشارت إلى وجود هذا التوافق الصرفي الذي ينحو بالسلسلة الكلامية نحو التوازي.

وعلاوة على وجود هذا التوازي التركيبي الصرفي ضمن السلسلة الكلامية السابقة، فثمة توافق دلالي بين هذه العناصر، فكل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يشتمل على صفة ثقيلة على النفس الإنسانية، صفة اليتم، وصفة الضلال، وصفة العولة، وهي متقابلة على ما أوضحنا، وكل طرف من أطراف هذه السلسلة الكلامية يشتمل على ما امتن به الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم، فلليتم كان الإيواء، وللضلال كان الهداية، وللعولة كان الإغناء، وهذا كله توافق دلالي قائم على أساس من البنى الصرفية والدلالية المتوافقة.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" .[٤٣]

تشتمل هذه الآية الكريمة على توازٍ تركيبي صرفي، ولكنه يختلف عن التوازي سابق الذكر في النماذج السابقة التي اعتمدت في مجملها على عناصر التوافق، فهاهنا الأمر

[٤٣][]. سورة البقرة، آية: ٢٤٦.

مختلف، إذ ثمة بعض العناصر غير المتوافقة ضمن هذه السلسلة الكلامية، فالتوازي هاهنا توازٍ غير تام.

تشتمل الآية الكريمة على حديث مباشر من الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل من بعد موسى، فهم قد غلب عليهم عدوهم، فقال لهم نبيهم هل تقاتلون لو بعث الله لكم ملكاً يقاتل معكم؟ فكان ردهم وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله، وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا، ولكنهم لما كُتب عليهم القتال تولوا عن هذا الأمر الإلهي، ولم يفعله إلا قليل منهم على ما ذُكر في الآية الكريمة .[٤٤]

والآية الكريمة السابقة تشتمل على ثلاث أدوات من أدوات الاستفهام هي: الهمزة في قوله: ألم، و"هل"، و"ما" الاستفهامية، أما الهمزة، و"هل" فأختان، والهمزة متصرفة في بابها أكثر من "هل"، إذ يجوز أن تدخل على الحروف نحو قولنا: ألم، في حين أن "هل" لا تدخل على الحروف كما هو الحال مع الهمزة .[٤٥]

أما المكون الاستفهامي الثالث في الآية الكريمة فهو "ما" الاستفهامية، وهي اسم استفهام وليس حرف كسابقتيها، وهي مبنية، كما أنها تشير إلى النكرة كثيراً، وإلى المعرفة قليلاً .[٤٦]

ونشير هاهنا إلى ما سبق ذكره، أن هذا التوازي ضمن أسلوب الاستفهام ما هو إلا توازٍ تركيبي ناقص، وليس تاماً كما هو الحال في النموذجين السابقين، ويمكننا أن نبين عناصر السلسلة الكلامية في هذا التركيب من خلال الجدول الآتي:

ألم	تر إلى الملأ من بني إسرائيل ...
هل	عسيتم إن كتب عليكم ...
ما لنا	ألا نقاتل في سبيل الله .....

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن كل عنصر من عناصر الاستفهام يقابله عنصر آخر مختلف عنه، ففي الطرف الأول من أطراف السلسلة الكلامية نجد الهمزة الاستفهامية، وفي الطرف الثاني نجد "هل" وفي الطرف الثالث نجد "ما" الاستفهامية، وهذا فيه شيء

[٤٤][].. انظر: الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد }١٤٢٢هـ{ زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٢٢٢.

[٤٥][].. انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو }١٩٩٣م{. المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ص: ٤٣٧.

[٤٦][]. انظر: الشيباني، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد }١٤٢٠هـ{ البديع في علم العربية، دراسة وتحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى، ج: ٢، ص: ٢٣٢.

من التخالف، وقيام هذا التركيب على جانب من جوانب البنى المتخالفة، خاصة إذا تذكرنا أن الهمزة و"هل" حرفا استفهام، في حين أن "ما" اسم استفهام، وهذا فيه تخالف صرفي كذلك.

وبالرغم من أن أداة الاستفهام في كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية قد أُتبِع بفعل، إلا أن هذا التشاكل التركيبي لم يصل إلى حد التوافق القائم على البنى المتوافقة، فالفعل الأول: ترَ" وهو فعل مضارع مسند إلى ضمير المخاطب، والفعل الثاني: عسيتم، وهو فعل ماضٍ ناقص، مسند إلى ضمير المخاطبين، والفعل الثالث: ألا نقاتل، وهو فعل مضارع، مسند إلى جماعة المتكلمين، فمن هنا نجد أن هذه البنى متخالفة صرفياً وتركيبياً كذلك، فالتوازي هاهنا قائم على أساس البنى المتخالفة لا على أساس البنى المتوافقة.

وبناء عليه نجد أن النماذج القرآنية التي اشتملت على توازٍ تركيبي صرفي ضمن أسلوب الاستفهام منحت المعنى مزيداً من التناغم، ومزيداً من التوافق والتشارك، هذا علاوة على تلك النواحي الشكلية التي مُنِحت للسلسلة الكلامية من خلال العناصر الصرفية المكونة لهذا التوازي، أو من خلال بعض العناصر الصوتية التي منحت الكلام مزيداً من الموسيقى الداخلية التي من شأنها أن تدعم التوازي ضمن السلسلة الكلامية المقصودة.

ثانياً: أسلوب الشرط:

وهذا النمط من الأساليب النحوية يقترب من أسلوب الاستفهام سابق الذكر، إذ ثمة مجموعة من العناصر الشكلية التي تربطهما بعضاً ببعض، وهو ما سنحاول ذكره تالياً.

يقصد بمصطلح الشرط ما يتوقف الحكم على وجوده، أي أن جزءه الأول يتوقف عليه حصول جزئه الثاني، فإذا وقع الجزء الأول، وقع الجزء الثاني منه .[٤٧]

ومفهوم الشرط يرتبط بلزوم انعدام الشيء إذا انعدم الشرط، غير أنه لا يلزم وجود الشيء بوجود الشرط، وهو ما يتم به الشيء وهو خارج عنه .[٤٨]

ومن هنا يتضح لنا أن مصطلح الشرط ينطوي على طرفين، الطرف الأول: وجود هذا الشرط، فإن الحكم قد يترتب وقد لا يترتب في حال وجود الشرط؛ لأنه يعد متمماً للحكم لا عنصراً ضابطاً له، والحالة الثانية: ألا يوجد الشرط، وفي هذه الحالة يترتب عدم وجود

[٤٧][]. انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين }٢٠٠٤م{ معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ص: ٧٧.

[٤٨][]. السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا }١٤١١هـ{. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ٧١ – ٧٢.

الحكم، أي أن انعدام الحكم ملتزم في حالة انعدام الشرط، وليس ملتزماً في حالة وجود الشرط.

وللشرط أدوات يُعرف بها في العربية، وتنقسم هذه الأدوات إلى ثلاثة أقسام هي، الظروف: وهي: أنى، ومتى، وأين، وحيثما، أما القسم الثاني فهو عوامل الشرط من الأسماء، وهي مثل: ما، ومن، وأي، ومهما، أما القسم الثالث: فهو من الحروف، وهي مثل: إنْ الشرطية، وتعد أم هذا الباب، وإذما، وقد جاء الشرط بالاسم والحرف والظرف؛ لاتساع معنى الشرط، وإن الأصل فيها جميعاً "إنْ" الشرطية، غير أن هذه الظروف والأسماء والحروف لما اشتملت على معنى "إنْ" أخذت حكمها في الشرط والجزاء .[٤٩]

ومن هنا فإن جملة أسلوب الشرط تشتمل على شطرين، الأول: جملة الشرط، وهي التي تبدأ بأداة الشرط، سواء أكانت اسماً، أم حرفاً، أم ظرفاً، ومن ثم تأتي بقية هذا الشطر، ثم يأتي الشطر الثاني، وهو قسم الجزاء، وعادة ما يبدأ بالفاء، وقد تُحذف هذه الفاء وتقدر في الكلام، إذ لا بد من تقديرها؛ لأنها تعد رابطاً تركيبياً بين جملة الشرط، وجملة الجزاء .[٥٠]

وفيما يلي سنورد الحديث عن بعض ملامح التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط في القرآن الكريم، وأول هذه النماذج ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ" .[٥١]

اشتملت الآيات الكريمة السابقة على مجموعة من جمل الشرط التي تشكل مجتمعة توازياً تركيبياً صرفياً يدعم فكرة الآية التي جاءت تتحدث عن البحث الدؤوب من سيدنا إبراهيم عليه السلام عن حقيقة من هو المستحق للعبادة والربوبية في هذا الكون.

يقول البيضاوي مبيّناً ما كان من أمر إبراهيم حينما قال هذا الكلام: "فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب، فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من

---

[٤٩][].. انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد }د.ت{ المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، ج: ٢، ص: ٤٦.

[٥٠][]. نظر: النشرتي، حمزة عبد الله }١٩٨٥م{ الرابط وأثره في التراكيب في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة – السعودية، السنة: ١٧، العددان: ٦٧، ٦٨، ص: ١٤٥.

[٥١][]. سورة الأنعام، آية: ٧٥ – ٧٨.

طريق النظر والاستدلال، وجن عليه الليل ستره بظلامه والكواكب كان الزهرة أو المشتري وقوله: هذا رَبِّي على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال، وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه. فَلَمَّا أَفَلَ أي غاب. قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فضلاً عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية" .[٥٢]

فالآيات الكريمة السابقة تشتمل على إشارات من إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه بأن هذه الكواكب والأجرام السماوية، والأصنام ليست مستحقة للعبادة، بل إن الله سبحانه وتعالى وحده هو المستحق للألوهية والربوبية، وإنه لما أشار للشمس بـ "هذا" على الرغم من أنها مؤنث، فذلك إيراد لإشارته إليها بلسانه، فإن لسان قومه لم يكن يفرق بين المذكر والمؤنث من خلال اللفظ، وإنما من خلال القرائن، هذا علاوة على أنه أراد معنى الربوبية في هذه الإشارة .[٥٣]

وقد افتتحت الجمل الشرطية في الآية الكريمة السابقة بعنصر الشرط "لمّا" إذ من أنواع "لمّا" أن تكون شرطية، وهي في هذه الحالة حرف لا اسم، ولا يليها إلا فعل ماضٍ مثبتاً أو منفياً .[٥٤]

ويمكننا أن نلحظ من خلال الآية الكريمة السابقة وجود التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط السابق، وهو في نظرنا ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ويمكن تمثيله بالجدول الآتي:

فلمّا	جنّ عليه	الليل
فلمّا	رأى	القمر
فلمّا	رأى	الشمس

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن السلسلة الكلامية قد تشكلت من ثلاثة أطراف، كل طرف منها يتشكل من العناصر الآتية:

فلما + فعل ماضٍ + اسم (مرفوع أو منصوب)

[٥٢]. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد }١٤١٨هـ{. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ج: ٢، ص: ١٦٩.

[٥٣]. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف }د.ت{. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار كنوز إشبيلية، ودار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، ج: ٦، ص: ١٩٤.

[٥٤]. المرادي. الجنى الداني، ص: ٥٩٤ – ٥٩٥.

وهذا التركيب يجعل هذه الأطراف متوازية تركيبياً في شكلها، انطلاقاً من دخول أداة الشرط عليها، وهي "لمّا" على ما بيّنا.

وعلاوة على هذا التشاكل التركيبي بين هذه المكونات، فثمة توازٍ صرفي بين هذه العناصر ضمن كل طرف من أطراف المتوالية الكلامية، فـ "لما" متشابهة بين العنصرين، والأفعال: جنّ، رأى، رأى، كلها أفعال ماضية، وهذا تشاكل صرفي، والأسماء التي تلي هذه الأفعال هي: "الليل، القمر، الشمس"، وهي كلها أسماء من صيغة صرفية واحدة، وهي صيغة "فَعْل"، باستثناء "قَمَر" فهي على زنة "فَعَل"، هذا يعني أنها متوافقة في صيغتها الصرفية، مما يدخل شيئاً من التوازي والتشاكل بين هذه المكونات التركيبية للكلمة.

ومن جانب آخر، فإن هذه الوحدات الثلاث: ليل، قمر، شمس، تنتمي إلى حقل دلالي واحد، إذ تربطها علاقات واضحة بين بعضها بعضاً، وهي علاقة الجزء بالكل، فالقمر جزء من الليل، والشمس هي التي تنفي الليل، فمن هنا فإن هذا التوافق ضمن الحقل الدلالي الواحد يوحي بمزيد من التوازي ضمن عنصر الدلالة.

إذ تشير نظرية الحقول الدلالية إلى قطاع كامل من المادة اللغوية، التي ترتبط مع بعضها بعضاً لتشكل حقلاً واحدا، وهذا الحقل لا بد أن يشتمل على مجموعة من العلاقات الناظمة للوحدات الكلامية داخله، كعلاقة الجزء بالكل، والترادف، والضدية، والاشتراك اللفظي، والسبب بالمسبب، إلى غير ذلك من العلاقات الناظمة للحقل الدلالي الواحد، إذ عن طريق الاطلاع على بعض وحدات الكلام يمكن الوصول إلى دلالاة غيرها ضمن علاقاتها الناظمة في الحقل الدلالي الواحد .[٥٥]

أما القسم الثاني، فيمكن تمثيله بالجدول الآتي:

فلمّا	أفلَ	قال:...
فلمّا	أفلَ	قال: ...
فلمّا	أفلتْ	قال:...

يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن كل طرف من أطراف هذه المتوالية الكلامية يتكون من:

فلمّا + أفلَ + قالَ + جملة مقول القول

[٥٥].. عمر، أحمد مختار عبد الحميد }١٩٩٨م{ علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة . مصر، الطبعة الخامسة، ص: ٧٩.

إن هذا التركيب المتوازي قد يصل إلى حد التكرار لقوة هذا التوازي الظاهر فيه، فإن تكرار "فلمّا"، وتكرار "أفلَ"، وتكرار "قالَ" كلها دالة على هذا التوازي المباشر الواضح بين مكونات هذه المتوالية الكلامية، يزيد ذلك قوة التماثل الصرفي بين هذه الوحدات الكلامية جميعاً.

ويمكننا أن نجمع هذه الأطراف ضمن الجدول الآتي:

فلمّا	جنّ عليه	الليل	فلمّا	أفل	قال: ...
فلمّا	رأى	القمر	فلمّا	أفلَ	قالَ...
فلمّا	رأى	الشمس	فلمّا	أفلتْ	قال: ...

وهذا التوازي التركيبي الصرفي يقودنا إلى القول بتساوي الآلهة جميعاً في العجز أمام ربوبية الله الواحد القهار، فلم يزد الكوكب على القمر شيئاً في الضعف والحاجة، وكذلك الحال في القمر، فإنه لم يزدد شيئاً من القوة عن الشمس، فجميع هذه المعبودات لا ترقى إلى كونها مستحقة للعبادة من دون الله تعالى، وكلها متساوية في عجزها وفقرها وحاجتها إلى غيرها كي تتم دورها في الكون؛ فلما كانت محتاجة لغيرها لم تستحق العبادة من دون الله تعالى، هذا ما أوحاه لنا التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط في الآية القرآنية الكريمة.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ" .[٥٦]

اشتملت الآيات السابقة جميعها على عبارات شرطية، افتتحت بأداة الشرط "إذا" ثم أُتبعت بالجملة الشرطية بعدها، وهو ما يشير إلى عنصر التوازي التركيبي الصرفي ضمن هذه الآيات القرآنية الكريمة.

تتحدث هذه الآيات القرآنية الكريمة عما هو كائن يوم القيامة من تبدل الأحوال، وتغير الأمور، وظهور أهوال يوم القيامة، من تكوير الشمس، وانمكدار النجوم، وحشر الوحوش، وغير ذلك من الأهوال التي ستأتي يوم القيامة، وانكدار الشمس يعني انطفائها، فقد

[٥٦][].. سورة التكوير. آية: ١ – ١٣.

أخذت العرب كلمة "كورت" عن الفارسية، وتعني أعمى، فكأن الشمس تغدو عمياء يوم القيامة .[٥٧]

وإذا نظرنا في تركيب هذه الآيات الكريمة جميعها، نجد أنها ابتدأت بأداة الشرط "إذا" ثم أُتبعت باسم مرفوع، وأدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال، فقدر البصريون فعلاً مضمراً، فالتقدير هاهنا: إذا كورت الشمس كورت، وإذا انكدرت النجوم انكدرت، إلى آخر هذه الآيات الكريمة، وهذا التقدير لا يصلح إلا في "إن" الشرطية، و"إذا"، أما سواهما من أدوات الشرط فلا يجوز فيها ذلك[٥٨]، ومن هنا فإن جميع هذه الآيات الكريمة اشتملت على هذا الحكم النحوي.

وافتتاح هذه الآيات الكريمة بـ "إذا" الشرطية يدل على حتمية وقوع هذه الأحداث لا محالة، أي أن المتكلم والمخاطب يعلمون هذه الأحداث، وهذا ما لا يكون في سائر أدوات الشرط الأخرى، فلو قال قائل: إنْ تأتني آتيك، لما كان الإتيان معلوماً، في حين لو قال: إذا تأتني آتيك، كان الإتيان معلوماً، وهو ما رأيناه ضمن الآيات الكريمة السابقة .[٥٩]

وترى الباحثة أن هذه الآيات الكريمة مشتملة على توازٍ تركيبي صرفي، وذلك ضمن أسلوب الشرط على ما سيبينه الجدول الآتي:

إذا	الشمس	كوّرت
إذا	النجوم	انكدرت
إذا	الجبال	سيرت
إذا	العشار	عُطِّلت
إذا	الوحوش	حُشِرت
إذا	البحار	سُجِّرت
إذا	النفوسُ	زُوِّجت
إذا	الموؤودة	سُئلت
إذا	الصحفُ	نُشِرت

[٥٧][].. انظر: الأصبهاني، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر }١٩٨٨م{ المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة – السعودية، ودار المدني، جدة – السعودية، الطبعة الأولى، ج: ٢، ص: ٧٧١.

[٥٨][].. انظر: السيرافي، أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله }١٩٧٤م{. شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ج: ١، ص: ٤١٠.

[٥٩][].. المبرد. المقتضب،ج: ٢، ص: ٥٦.

إذا	السماءُ	كُشِطت
إذا	الجحيم	سُعِّرت
إذا	الجنةُ	أَزلِفت

يتبين لنا من خلال الجدول السابق أن كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يتكون من العناصر التركيبية الآتية:

إذا + اسم مرفوع + فعل ماضٍ

هذا التركيب النحوي الأسلوبي لم يتغير خلال هذه السلسلة الكلامية كلها، الأمر الذي يوحي بهذا التوازي التركيبي بين أطراف هذه السلسلة الكلامية.

ومن جانب آخر فإن البنية الصرفية لهذه المكونات فيها شيء من التوازي كذلك، فعداك عن التشابه التكراري الماثل في "إذا" فإن جميع العناصر التركيبية التي تلت "إذا" إنما هي من الأسماء، ولم يأتِ شيء من الأفعال، بل كان الفعل مقدرا، الأمر الذي يشير إلى تشاكل هذه الوحدات الكلامية ضمن الأسلوب النحوي المخصوص.

ومن جانب آخر فإن الفعل الماضي الذي اختتم به كل طرف من أطراف هذه المتوالية الكلامية كان مبنياً للمجهول، أو على زنة "انفعل" ووزن "انفعل" يدل على ما يدل عليه المبني للمجهول، فإن الأصل التطوري لصيغة البناء للمجهول بدأت في اللغات السامية من صيغة "انفعل" وبقيت هذه الصيغة دالة على ما يدل عليه معنى المجهول إلى يومنا الحاضر، حتى إن صيغة "انفعل" تدل على البناء للمجهول في اللهجات المعاصرة، وتكاد تحل محلها في كافة الاستعمالات اللغوية للعربية في يومنا الحاضر .[٦٠]

ويمكننا أن نلحظ من خلال هذا التوازي الصرفي التركيبي ضمن الآيات الكريمة السابقة أن هذه الأهوال والأحداث التي ستكون يوم القيامة سيكون لها الوقع ذاته في نفس البشرية آن ذاك، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن هذه الأحداث ستكون متزامنة، فكان التوازي دليلاً على هذا التساوي والتزامن في وقوع هذه الأحداث يوم القيامة.

وقد يعتمد توازي العناصر التركيبية ضمن أسلوب الشرط على تحول الأسلوب ذاته من أداة شرط إلى أداة أخرى، وذلك نحو ما نراه في قوله سبحانه وتعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى

[٦٠][]. انظر: عبد التواب، رمضان }١٩٩٥م{. بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، ص: ٨٠.

تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ" .[٦١]

يمكننا أن نلحظ تحول الشرط ضمن هذه الآية القرآنية الكريمة من "إذا" إلى "لو" في نهاية السلسلة الكلامية، وهذا التحول الأسلوبي يقود إلى تحول في التركيب، فيؤثر تأثيراً مباشراً في نمطية التوازي ضمن الآية القرآنية الكريمة.

وتبين هذه الآية القرآنية الكريمة مجموعة من الأسس القتالية التي يتوجب على المسلمين اتباعها في ساحة الحرب مع المشركين، وذلك أن عليهم القتال إذا تلاقوا مع هؤلاء المشركين، فإذا أكثروا فيهم القتل فعليهم أخذ الأسارى، ومن ثم فإن حكم هؤلاء الأسرى إما أن يطلقونهم مناً، أي دون مقابل، أو فداء، أي بمقابل، إلى أن تنتهي الحرب، هذا ولو أراد الله سبحانه وتعالى لانتصر من هؤلاء المشركين، ولكن حقت سنته في عباده كي يبلوا الناس في دنياهم بعضهم ببعض .[٦٢]

إن أداة الشرط الأولى في هذه السلسلة الكلامية تتمثل بـ "إذا" وهي ظرف لما يُستقبل من الزمان، تقول: إذا قام زيد فالناس يستمعون إليه، فهذا يعني أن زيداً لم يقم بعد، وأنه إذا قام دلالة على المستقبل من الزمان لا على الماضي .[٦٣]

ومن جانب آخر فإن "إذا" ظرف ملازم للإضافة، وتضاف إلى الجمل، ولا بد أن تكون الجملة التي تليها جملة فعلية لا اسمية، فإذا كانت اسمية لا بد من تقدير فعل بعدها .[٦٤]

وتأتي لو في الكلام للدلالة على أن جوابها مرتبط بوقوع فعلها، فهي دالة على ما مضى من الزمان، تقول: لو أتيتني لأكرمتك، فوقوع الإكرام لم يقع لعدم وقوع الإتيان، ولو أتى لأكلرمه، وهي بهذه الحالة عكس "إنْ" الشرطية التي تدل على ما يُستقبل من الزمان، تقول: إنْ تأتِني أكرمك، فالإتيان لم يقع بعد، ومن جانب المعنى فالمعنى متوافق بينهما، أي أنهما تدلان على الامتناع لامتناع .[٦٥]

وحين ننظر في الآية القرآنية الكريمة نجد أنها قامت على أساس من التخالف والمخالفة في تركيب عناصر الشرط، الأمر الذي قد يقود إلى شيء من التخالف ضمن

---

[٦١][]. سورة محمد، آية: ٤.

[٦٢][]. انظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين }١٩٩٨م{ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت .لبنان، الطبعة الأولى، ج: ٣، ص: ٣٢٢.

[٦٣][]. انظر: أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب، ج: ٣، ص: ١٤١٢.

[٦٤][]. انظر: البياتي، ظاهر شوكت }٢٠٠٥م{ أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ص: ١٨.

[٦٥][].. انظر: الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله }د.ت{. رسالة منازل الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان – الأردن، ص: ٦٠.

ظاهرة التوازي التركيبي الصرفي في الآية الكريمة، ويمكننا أن نلحظ ذلك من خلال الجدول الآتي:

إذا	لقيتم
إذا	أثخنتموهم
لو	يشاء

فمن خلال الجدول السابق يمكننا أن نلحظ أن أداة الشرط "إذا" قد أُتبعت بالفعل الماضي، في حين أن أداة الشرط "لو" قد أتبعت بفعل مضارع، وهذا فيه تخالف صرفي ضمن شكل الفعل، فهذا التخالف جاء موازياً للتخالف في أداة الشرط التي بدأ بها طرف المتوالية الكلامية.

وأياً يكن الأمر من التخالف بين عناصر السلسلة الكلامية الصرفية، فهناك توافق تركيبي يتمثل بـ:

أداة شرط + فعل

فهذا التركيب النحوي لجملة الشرط ضمن الآية الكريمة يدل على هذا التوافق التركيبي بينهما، غير أن التخالف الصرفي يقود إلى توازٍ غير تام، أي أنه من قبيل توازي البنى المتخالفة لا البنى المتوافقة.

وبناء على ما سبق يمكننا أن نلحظ كيف أن أسلوب الشرط قد اشتمل على مجموعة من العناصر التركيبية المتوازية ضمن آيات القرآن الكريم، وعلاوة على هذا التوازي التركيبي، فثمة عناصر صرفية متوازية تسير جنباً إلى جنب مع عناصر التوازي التركيبي، مما يمنح العبارة القرآنية مزيداً من الموسيقى الشكلية، والتناسق اللفظي، والتوازن في العبارة، وهو ما يجعل التراكيب أكثر قرباً من بعضها بعضاً، مما يؤدي إلى التماسك والتناسق بين وحدات الكلام المختلفة، فيؤثر ذلك كله في تشكيل المعنى والدلالة.

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث نتوصل إلى النتائج الآتية:

أولاً: تظهر لنا ملامح التوازي التركيبي الصرفي وما يدعمه من عناصر التشكيل الصوتي، وملامح المعجم والدلالة ضمن مكونات الأساليب النحوية المختلفة، سواء الاستفهام، أم النداء، أم الشرط، أم غيرها من الأساليب التي تناولتها الدراسة.

ثانياً: كان لهذا التوازي أثره في تشكيل عناصر الموسيقى الداخلية للآيات القرآنية الكريمة، إذ إن تشابه البنى والمكونات الكلامية يقود إلى تناسق الموسيقى الداخلية ضمن السلسلة الكلامية.

ثالثاً: يمكننا القول بأن مظاهر التوازي التام كانت أكثر وضوحاً من مظاهر التوازي الناقص؛ لما للتوازي الناقص من آثار متناثرة، وبنى متشابكة، فكان الوصول إلى التوازي التام أيسر من الوصول إلى التوازي الناقص.

رابعاً: يسهم التوازي التركيبي الصرفي في مزج المعنى بالتراكيب، إذ إن لهذه التراكيب المتوزية أثرها في تدعيم الأفكار، كتساوي أهوال يوم القيامة، فمن هنا جاءت جميعها ضمن توازي الشرط في آيات سورة التكوير.

خامساً: هناك بعض الأثر للملامح الصوتية ضمن تراكيب أطراف السلسلة الكلامية، سواء بزيادة الموسيقى الداخلية، أم في زيادة اتساق العناصر الكلامية، وتناغمها، فالمستوى الصوتي له أثره في تشكيل التوازي.